تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه قال لموسى منكرا وجود الصانع الخالق إله كل شيء وربه ومليكه قال { فمن ربكما يا موسى } أي الذي بعثك وأرسلك من هو فإني لا أعرفه وما علمت لكم من إله غيري { قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى } قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يقول خلق لكل شيء زوجه وقال الضحاك عن ابن عباس : جعل الإنسان إنسانا والحمار حمارا والشاة شاة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد : أعطى كل شيء صورته وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : سوى خلق كل دابة .

وقال سعيد بن جبير في قوله : { أعطى كل شيء خلقه ثم هدى } قال : أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة ولالدابة من خلق الكلب ولا للكلب من خلق الشاة وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح وهيأ كل شيء على ذلك ليس شيء منها يشبه شيئا من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح وقال بعض المفسرين : أعطى كل شيء خلقه ثم هدى كقوله تعالى : { الذي قدر فهدى } أي قدر قدرا وهدى الخلائق إليه أي كتب الأعمال والاجال والأرزاق ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يحيدون عنه ولا يقدر أحد على الخروج منه .

يقول ربنا الذي خلق الخلق وقدر القدر وجبل الخليقة على ما أراد { قال فما بال القرون الأولى } أصح الأقوال في معنى ذلك أن فرعون لماأخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى شرع يحتج بالقرون الأولى أي الذين لم يعبدوا ا أي فما بالهم إذا كان الأمر كذلك لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره فقال له موسى في جواب ذلك هم وإن لم يعبدوه فإن علمهم عند ا مضبوط عليهم وسجزيهم بعملهم في كتاب ا وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال { لا يضل ربي ولا ينسى } أي لا يشذ عنه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئا يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط وأنه لا ينسى شيئا تبارك وتعالى وتقدس وتنزه فإن علم المخلوق يعتريه نقصانان : أحدهما عدم الإحاطة بالشيء والاخر نسيانه بعد علمه فنزه نفسه عن ذلك